Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol.33/ No.11/ 2025 المجلد ٣٣/ العدد ١١/ ٢٠٢٥

أساليب التأثير البلاغي في خطبة "ذم الدنيا" للإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): دراسة تحليلية

ثناء عيّاش أستاذ البلاغة والنقد

قسم اللغة العربيّة/ كلّية الآداب/ الجامعة الهاشميّة الزّرقاء/الأردن

thanaaayash381@gmail.com

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/٨/٢٦ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٥/٩/٩ **تاريخ نشر البحث:** ٢٦/ ١١ /٢٠٢٥

المستخلص:

يتناول البحث التحليل البلاغي لخطبة سيدنا علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– مع التركيز على موضوع الزهد في الدنيا والتحذير من الاغترار بها، بوصفها دار الفناء ومتاعها إلى زوال. ويهدف إلى كشف أساليب التأثير البلاغية التي اعتمد عليها الإمام في خطبته، ويقدم بوضوح كيفية تصويره للدنيا بصورة واقعية ثم مقارنة ذلك بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية. ويتطرق البحث إلى العلاقة الدلالية بين العنوان والمضمون، ومدى توافقه مع روح العصر الذي عاشه الإمام علي. إذ أظهرت النتائج أن علياً – كرم الله وجهه– استخدم تنوعاً كبيراً في الأساليب البلاغية (إنشائية، خبرية، مقابلة، تشبيهية)، للوصول إلى هدفه التربوي والتوجيهي، ورسم صورة تقابلية بين الدنيا والآخرة لزيادة تأثير الخطاب على المتلقي.

الكلمات الدالة: أساليب، البلاغة، خطبة، ذم الدنيا

Rhetorical Strategies in Imam Ali's Sermon "Condemnation of Life": An Analytical Study

Thanaa' Ayash, Professor of Rhetoric and Criticism

Department of Arabic Language/ Faculty of Arts/The Hashemite University/ Zarqa, Jordan.

Abstract

This study presents a rhetorical and artistic analysis of a sermon delivered by Imam ʿAlī ibn Abī Ṭālib (Peace be upon him), with particular emphasis on the theme of asceticism (zuhd) and the warning against attachment to the transient world. By portraying earthly life as a perishable abode and its pleasures as fleeting, the sermon articulates a moral vision grounded in both Qurʾānic discourse and Prophetic traditions. The research highlights the rhetorical strategies employed by Imam ʿAlī, including interrogative, declarative, antithetical, and simile-based constructions, in order to achieve his pedagogical and admonitory aims. Furthermore, the study explores the semiotic relationship between the title and the content, examining how the sermon resonates with the intellectual and cultural context of the Imam's era. The findings demonstrate that Imam ʿAlī strategically juxtaposed the imagery of this world and the Hereafter to enhance the persuasive force of his message, thus reinforcing its enduring educational and spiritual impact on the audience.

Keywords: Rhetorical Strategies, Sermon, Condemnation of life

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

1. المقدمة:

عُرف عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– كثرة خطبه التي تحث على الزهد في الدنيا، وعدم الركون إليها؛ لأنها ليست دار إقامة ومتاعها لا محالة زائل، ومنها هذه الخطبة التي ذمّ فيها الدنيا، فخطبه– كرم الله وجهه– تعد من النصوص البليغة التي تحمل في طيّاتها ثراءً أسلوبياً ودلالياً، وقد شكّلت على مرّ العصور مادة خصبة لدارسي البلاغة العربية والبيان القرآني حيث توظف أساليب التأثير البلاغية لخدمة المعنى والإقناع والتأثير، مما يكشف عن وعي لغوي وأسلوب فني متكامل لدى الإمام علي. ومن هنا، فإن تحليل إحدى خطبه في ضوء علوم البلاغة التقليدية لا يُعَدُّ مجرد استعراض لجماليات الأسلوب، بل هو قراءة واعية تكشف عن البنية الأسلوبية للخطاب في ضوء مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

١,١– **إشكالية البحث:** في كيفية إبراز خصائص أساليب التأثير البلاغي لتصوير الدنيا تصويراً فنياً يرسّخ قيم الزهد ويحذّر من الاغترار بها، وجعل الخطاب يتجاوز حدود الموعظة إلى بناء جمالي وفني مقنع ومؤثر في المتلقي

وانبثق عن هذه الإشكالية أسئلة البحث وهي:

٢,١–أسئلة البحث:

1. ما أبرز الأساليب البلاغية التي وظفها الإمام علي في خطبة *ذم الدنيا*؟
2. كيف ساهمت هذه الأساليب البلاغية في بناء حِجاجٍ إقناعي يخاطب العاطفة والعقل معاً؟
3. ما العلاقة بين التصوير البلاغي للدنيا في الخطبة وبين التصوير القرآني والنبوي لها؟
4. كيف يمكن فهم العلاقة بين الأساليب البلاغية التي وظفها الإمام علي لذم الدنيا، ومدى توافقها مع روح العصر الذي عاش فيه الإمام علي.

٣,١–أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تحليل البنية البلاغية الشاملة في خطبة مختارة للإمام علي بن أبي طالب، في ضوء علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.
2. الكشف عن الأساليب التعبيرية التي اعتمدها الإمام علي لإيصال المعاني وإقناع المخاطبين، وبيان أثرها في بناء الحجة وتقوية التأثير الخطابي.
3. تتبع التفاعل بين عناصر البلاغة الثلاثة داخل النص الواحد، وبيان كيف يخدم هذا التفاعل المعنى الكلي للخطبة.
4. إبراز الخصائص الأسلوبية المميزة للخطاب العلوي، وربطها بالسياق الثقافي والديني الذي نشأت فيه.

أهمية البحث:

1. يفتح آفاقاً جديدة لفهم خطب الإمام علي ليس كخطاب ديني وعظي، بل كخطاب بلاغي فني متكامل.
2. يُبرز هذا البحث الجانب الإنساني والفكري في بلاغة الإمام، بما يعكس قدرته على تحويل الموعظة إلى خطاب إقناعي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

3. إثراء المكتبة البلاغية بدراسة بلاغية متكاملة يمكن أن تكون مرجعًا للباحثين في البلاغة التطبيقية.

٤,١-منهج البحث: وصفي تحليلي إذ يقوم البحث بوصف التراكيب والصور والمحسنات البديعية في الخطبة ثم تحليلها تحليلًا دقيقًا يربط بين الخصائص اللغوية والوظائف التعبيرية.

2. القسم النظري:

١,٢: مفهوم فنّ الخطابة في التراث اللغوي العربي:

الخطابة فن قوامه إقناع المتلقي والتأثير به، وقد اهتم به العرب بهذا الفن منذ العصر الجاهلي، وبلغ أوجه في العصر الإسلامي الأول، حيث جمع بين الروعة اللغوية والبعد الأخلاقي والديني.

وقد عرف ابن رشد الخطابة بأنها "علم تدبير القول بحيث يبلغ الغرض"[٢٣:١]، وأكد على أن الخطاب يجب أن يكون مقبولاً من العقل والنفس، أي يجمع بين الحجاج العقلي والشعوري.

ونجد أنَّ شوقي ضيف يشير إلى أن الخطابة العربية الإسلامية تتميز بـــ:

١- توظيف الأساليب الإنشائية: كالنهى، والأمر، والتحذير، والنصح.

٢- استخدام الأساليب الخبرية: لإثبات الحقائق وتجسيدها أمام المتلقي.

٣- اعتماد المقابلة والتضاد: لتوضيح الفكرة بربطها بين طرفين متناقضين[١١٢:٢].

ويجعل هذا الأسلوب من الخطاب ليس مجرد كلام بل تجربة وجدانية وعقلية لجذب انتباه المتلقي، بحيث تتفاعل في ذهنه الصور والمعاني في وقت واحد.

ثانياً: ظاهرة الزهد في الدنيا من منظور البلاغة الإسلامية:

الزهد في الدنيا يعد من الموضوعات المتداولة بكثرة في الخطاب الديني الإسلامي، وقد ارتبط بالخطابة القرآنية والأحاديث النبوية [١١٥:٣-١٢٠]. فهو يركز على أمور عدة، منها:

التحذير من الاغترار بمغريات الدنيا الخداعة.

تصوير الدنيا على أنها دار مؤقتة، مقابل الآخرة على أنها دار الخلود.

رسم صور تقابلية مقنعة للدنيا والآخرة لتعميق أثر الرسالة [٧٨:٤].

يستخدم الخطاب البلاغي هنا: التشبيه، الكناية، المقابلة، الجناس والسجع، لمنح التركيب إيقاعاً موسيقياً وفنياً، مما يزيد من قدرته على الإقناع.

٢,٢: الأساليب البلاغية في الخطابة:

الجمل الإنشائية: كالأمر والنهي والتحذير، وتهدف إلى تصويب الفعل لدى المتلقي نحو المعنى.

الجمل الخبرية: لإقرار الحقائق وتثبيتها، مثل وصف حال الدنيا ومآلها.

المقابلة والطباق: لإيضاح الفرق بين الخير والشر، وبين الهدى والضلال، وبين المتقين وغير المتقين.

التشبيه والاستعارة: لإيضاح المعاني والأشياء المجردة، مثل تشبيه الدنيا بالصرح المنهار أو الطعام الذي ينفد.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تتبدَّى هذه الأساليب في سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وقد نظم علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– خطبة شديدة الإتقان ووظّف فيها هذه الأدوات كلها لتحقيق الهدف التعليمي والتربوي وزيادة الوعي الأخلاقي والديني

٣,٢: نص الخطبة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: [٥:١٦٩-١٧٠]

" وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ فَمَا خَيْرُ دَارٍ تَنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ وَسُوءُ الضَّمَائِرِ فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ ".

٤,٢: محاور الخطبة:

١- التحذير من متاع الدنيا والزهد به.

يقول سيدنا علي – كرم الله وجهه – في مطلع خطبته:

"وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ"

اعتمد الإمام على دلالة الفعل المضارع (أحذركم) للتأكيد على ديمومة التحذير، واستخدم الجملة الاسمية والفعلية معاً لتقرير استمرارية الفناء[٦:٥٢].

ويصور الدنيا بأنها خدَّاعة ومتقلبة وفيها من الإغراء ما قد يغوي الإنسان ويضعفه أمام الشهوات: "قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا"

يجمع الأسلوب هنا بين الجناس والتوكيد لزيادة التأثير الفني، ومستعيناً بدليل من القرآن الكريم:﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(سورة آل عمران: آية ١٨٥).

٢- تصوير حال الدنيا والآخرة:

اعتمد سيدنا علي – كرَّم الله وجهه – على المقابلة لتوضيح الفروقات العظيمة بين أهل الزهد من جهة وأهل الشهوات المحرمة في الدنيا من جهة أخرى:

حال الزاهدين بالدنيا ← حرمان مؤقت ← قمة الفوز بالنعيم المقيم في الآخرة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

حال المقبلين على الدنيا ← ملذات مؤقتة ← قمة الخسارة والخذلان في الآخرة

يتبدَّى هذا البُعد الدلالي في الخطبة، إذ يربط بين عنوان الخطبة (الزهد في الدنيا) ومضمونها وفهرس المفاهيم فيها (الدنيا والآخرة)، مع التأكيد على أن التوجه نحو الآخرة هو الخيار الذي يتمتع به أهل العقل والمنطق و الإيمان[٧:٩٩].

٣- التركيز على قضيتي الموت والآخرة:

"وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ، آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُم"

يعتمد هنا على الإخبار بأن الموت واقعة حتمية، ويبرز التعارض بين الدنيا الفانية والآخرة الباقية، مستعيناً بالنصوص القرآنية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(سورة آل عمران: آية ١٥٨).

٤- نقد المجتمع والدعوة لإصلاحه:

يعتمد سيدنا علي – كرم الله وجهه– على التشخيص في وصف سوء أخلاق المجتمع وتشتته:

"فَلَا تَوَازَرُونَ ولَا تَنَاصَحُونَ، ولَا تَبَاذَلُونَ ولَا تَوَادُّونَ" ويستحضر نصوصاً قرآنية لتعزيز خطابه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾(سورة الحجرات: آية ١٠) وحديثية [٨:٦٠١١]

وهنا يظهر الجمع بين البعدين الاجتماعي والجمالي في الخطابة، مع تحقيق الهدفين التعليمي والتربوي.

3. القسم التطبيقي

بما أنَّ علياً بن أبي طالب – رضي الله عنه– يتحدّث عن الزهد في الدنيا، وعدم الركون إليها؛ لأنها ليست دار إقامة ومتاعها لا محالة زائل، فقد ذم الدنيا، وافتتح خطبته بالتحذير منها بصيغة تحذير مباشرة، في قوله:" وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، ولَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ" ولم يكتفِ بالتحذير بل أتبع ذلك بالتعليل في سبيل الإقناع والتأثير في المتلقي، فإقامة الإنسان فيها إقامة مؤقتة، سرعان ما سيغادرها ويتركها كما تركها من سبقوا ورحلوا، وجاء السجع والجناس في فاصلة المقطع السابق؛ ليضفي إيقاعا موسيقيا على الخطبة، وأنه أسهم في إيصال المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي.[٩:ج١-٧٥].

وجاء التعبير بالفعل المضارع (أحذركم) للدلالة على أهمية التحذير المتواصل منها؛ لأن الإنسان قد يغفل وينشغل بأمور الدنيا عن الآخرة؛ لذا يأتي التحذير المتكرر للتذكير بما قد يغفل عنه الإنسان، وأكدّ كلامه بأداة التوكيد والجملة الاسمية (فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ) لأنه يتحدث عن حقيقة وواقع، الدنيا لا تدوم لأحد. وعلى الرغم من أنّ مراده اتضح من وصفه للدنيا بـــ (منزل قلعة) إلا أنه أتبع كلامه بقوله (وليست بدار نجعة) زيادة في التقرير والتأثير في المتلقي.[١٠:٢٦٣].

وتمتاز الدنيا بأنها خدّاعة برّاقة، كما يتضح من وصفه لها:" قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا" واجتماع لفظي (غرورها وغرت) يؤكدان هذه الحقيقة، وافتتح كلامه بقد والفعل الماضي من باب التوكيد لما يقوله بأنّ الدنيا تخدع والإنسان قد يغتر بما فيها، ويغفل عن الحياة الدائمة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وشخّص الدنيا بفتاة تتزين بأجمل زينة؛ لتكون أكثر إغراء ويزداد التهافت عليها والانخداع بها، وفي هذا كناية عن ملذات الدنيا وشهواتها التي تجعل الإنسان ينساق وراءها فيضل وينحرف.

وهو يستوحي في هذا المجال مضامين عدد من الآيات القرآنية التي تصف الدنيا بهذا الوصف، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (سورة فاطر: آية ٥) الذي حذّر تحذيرا شديدا من الاغترار بالدنيا ومؤكدا بنون التوكيد الثقيلة، وتكرار النهي[١١:٧٦ –٧٧].

وقوله تعالى: ﴿مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران، ١٨٥) المبني على أسلوب القصر المبني على النفي وإلا لتقرير هذه الحقيقة.

واستحضر كذلك ما قاله –عليه السلام– في وصف الدنيا:" إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون" (رواه مسلم) بتسليطه الضوء على ما في الدنيا من مغريات وملذات تستهوي الإنسان؛ لذا وصفها بالحلوة الخضرة.

واتفقت النصوص المستوحاة من القرآن الكريم، وحديث الرسول – عليه السلام– وكلام علي– رضي الله عنه– في التحذير من الاغترار بالدنيا والانخداع بها.

وصوّر الدنيا متقلبة لا تدوم على حال واحدة، ففيها الصحة والمرض، والنجاح والفشل، والعمار والخراب، فما كان عامرا اليوم مآله إلى الخراب في الغد، فهي كما قال:" ومُلْكُهَا يُسْلَبُ وعَامِرُهَا يَخْرَبُ" ونظرة إلى واقع الحال يؤكد صحة ما قاله، فكم من الملوك والأمراء والرؤساء انقلبت عليهم الدنيا فزال ملكهم، وكم من الحضارات نشأت وسادت ثم اندثرت؛ لذا حثّ القرآن الكريم على التدبر والتفكر في مآلات الأمم السابقة، وحثّ كذلك على السير في الأرض والنظر فيما تبقى من آثار الأمم السابقة؛ لأخذ العبرة والعظة منها، كما في قوله تعالى:﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (سورة فاطر: آية ٤٤ال) وقوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(سورة غافر: آية٨٢) "العقل إذا أُكره عمي، ومتى عمى الطبع و جسا و غلظ وأُهمل حتى بألف الجهل لم يكد يفهم ما عليه و ما له"[١٢:١١٢].

واتكأ علي– رضي الله عنه– في قوله (ومُلْكُهَا يُسْلَبُ وعَامِرُهَا يَخْرَبُ) على الجملة الاسمية والفعلية معا في قوله السابق لدلالة الجملة الاسمية على الديمومة والثبات، أمّا الفعلية فلدلاتها على التغير والتجدد، فهذا شأن الدنيا دائما، يجتمع فيها العطاء والسلب، والعمران والخراب، لا شيء يدوم على حاله.

وبيّن كذلك حقارة الدنيا عند الله – سبحانه وتعالى– في قوله:" هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وحُلْوَهَا بِمُرِّهَا" وبسَطَ أحوال الدنيا أمام ناظري المتلقي، وكأنها متجر كلّ يتجر فيها وفق مراده، ففيها الحلال والحرام والربح والخسارة...، وهو ضمنا يستحضر قوله –صلى الله عليه وسلم–: "الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا". ووصف علي بن محمد الهادي الدنيا بـــ: سوقٌ، رَبِحَ فيها قومٌ وخَسِرَ آخرون.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وقدّم علي– رضي الله عنه– دليلا عقليا على ضآلة الدنيا عند – الله سبحانه وتعالى– في قوله:" لَمْ يُصفِهَا اللَّه تَعَالَى لأَوْلِيَائِه، ولَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِه" متكئا على المقابلة لتصوير حالين متناقضين للدنيا، وراسما صورتين متقابلتين، هما: صورة الدنيا وما فيها من تضييق على الفئة المؤمنة، وقد تعاني من مكدراتها ومنغصاتها، تذكيرا منه لهم – ضمنا– بالحياة الآخرة وأهمية الحرص عليها، والعمل من أجلها، ويتحمل ويصبر في سبيلها فهي الحياة الدائمة. ويقابل هذه الصورة صورة الدنيا وما فيها من إغداق النعم على الفئة غير المؤمنة؛ لتتمتع بكل ما فيها من متاع، وهذا التصوير يكشف عن هوان الدنيا عند الله – سبحانه وتعالى– والدليل أنه يفتحها لغير المؤمن ويمده بما يحقق له الراحة والاستمتاع بالدنيا، ولولا هذا لما ضيّق فيها على المؤمن، والخلاصة أنها لا تستحق أن ينساق الإنسان وراء ملذاتها ومتاعها.

وطافت ظلال قوله – صلى الله عليه وسلم–:" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" في تصويره السابق فأولياء الله الصالحون لا يجعلون من الدنيا شغلهم الشاغل، ولا همهم الأكبر، ويزهدون بها، إدراكا منهم لحقيقتها التي قررها القرآن الكريم، فالدنيا ممر للآخرة، أو مزرعة الآخرة؛ لذا لم يصفها الله لأوليائه، وبالمقابل فإنه –سبحانه وتعالى– فتح الدنيا على مصراعيها لأعدائه يتنعمون في نعيمها، ويُقبلون عليها، فهي كما قال– صلى الله عليه وسلم–:" لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ" رواه الترمذي.

وجاءت المقابلة في قول علي– رضي الله عنه–السابق لتصور لنا حالين مختلفين، ذكرهما في النص:

حال من يزهد بالدنيا	تضييق مؤقت	الفوز في الآخرة
حال من لم يصفها الله له	تضييق مؤقت	الفوز في الآخرة

حال من يُقبـــل عليها	فتح الدنيا ومدها مؤقت	الخسارة في الآخرة
حال من فتحها له	فتح الدنيا ومدها مؤقت	الخسارة في الآخرة

وبالمقابل حذف عاقبة كل فرقة، فالأولياء في الدنيا مُقيد عليهم لكن في الآخرة سينعمون، ويغدق الله – سبحانه وتعالى–عليهم أضعاف ما حُرموا منه في الدنيا الزائلة. أمّا الأعداء ففي الآخرة سيُحرمون من الأجر والعطاء، فهم نالوا حظهم من الدنيا. وشتان بين الحالين في الدنيا وفي الآخرة، فمن ظنّ أن الدنيا دانت له أدرك حقيقة ما أخذ وما ترك في الآخرة.

ونظرة في الحياة الدنيا تبين أن نسبة الشر والأشرار في الدنيا أكثر من الأخيار والصالحين، وقد يسالم الأخيار ولا يكاد يُسمع صوتهم، أمّا الأشرار فيعلنون شرهم ويعملون من أجله بكل ما لديهم من قدرة وقوة؛ لذا وصف علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– الدنيا بـــ:" خَيْرُهَا زَهِيدٌ وشَرُّهَا عَتِيدٌ" فزهيد تدل على القليل والنزر

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

اليسير، أما عتيد فتدل على التهيؤ والاستعداد التام، وكلا اللفظين صورا صورتين متقابلتين للدنيا وأحوال الناس فيها.

وأسند وصف زهيد وعتيد إلى الدنيا من باب المجاز العقلي، والمراد أهلها فبصلاحهم تصلح الدنيا، وبفسادهم تفسد، وعبّر بالجملة الاسمية المبنية على إيجاز القصر؛ لأنه يوّصف حقيقة الناس في الدنيا وزهدهم بالخير وإقبالهم على الشر، ويشمل قوله (خيرها وشرها) كل أنواع الفضائل في الدنيا من جهة، وكل أنواع الشرور من جهة أخرى.

ودلّ وزن صيغتي (زهيد وعتيد) على حالة الديمومة والاستقرار، فالخير قليل والناس تزهد به، والشر كثير والناس تُقبل عليه، كلٌّ يختار وفق هواه، وفي الآخرة يُحاسَب على اختياره، بدليل قوله تعالى:﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد: آية١٠) ولكن فئة تختار بمحض إرادتها الضلال والانكباب على الدنيا، ويصبح شأنها شأن ثمود الذين كما وصف الله –سبحانه وتعالى– في قوله:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(سورة فصلت: آية١٧). فطريق الصلاح والحلال بيّن، وطريق الضلال والحرام بيّن، ولكل طريق له سالكه، ثم يحاسب في الآخرة ويُجازى بما يتناسب مع فعله، وهو يريد لهم النجاة في الآخرة، وذلك بالعمل لها وهم في الدنيا، وليس بالانسياق وراء الملذات ومتاع الدنيا.

وبعد التوصيف السابق للدنيا جاء قوله:" فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، ومُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ؟!" لتكون نتيجة لما تدرج في وصفه في مقدمة خطبته، واتكأ على التشبيه البليغ المبين للنوع لكشف حقيقة الدنيا، وفي الوقت ذاته لتقريب المعنى في سبيل الاستمالة والتأثير، فكيف يمكن للعاقل أن يُقبل على الدنيا، ويركن إليها! وهي الزائلة والفانية، وجسّد الدنيا بصورة البناء الذي ينهار لبنة لبنة، وجسّدها كذلك بالزاد الذي ينفد، وبالطريق الذي يُقطع، وتتالت الصور في قوله السابق لتقريب الأمر المعنوي المجرد للأذهان؛ ليراها المتلقي بأم عينه، فهو شاهد البناء الذي ينهار، والزاد الذي ينفد، وكذا شأن الدنيا، فماذا يتبقى من البناء المنهار؟ لا شيء، وكذلك الدنيا لا يتبقى منها إلا الحطام، فكيف نحرص على الحطام؟ ونغفل عن الدائم الذي لا ينقطع، ولا يزول في الآخرة!

والتقت التشبيهات السابقة في تصوير فناء الدنيا وزوالها، أمّا الاستفهام في قوله (فما خير) فجاء للنفي وتقرير أنه لا خير يُرجى من شيء مصيره إلى الفناء، وفي الوقت ذاته يستهجن ويستغرب ممن يتكالب على الفاني ويغفل عن الدائم.

وتتالت أفعال الأمر الصريحة والمباشرة في قوله:" اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّه عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ واسْأَلُوه مِنْ أَدَاءِ حَقِّه مَا سَأَلَكُمْ" لغرض النصح والإرشاد والوعظ، فهو يدرك أنه يخاطب متلقين يتفاوتون في درجات الإصغاء والاقتناع؛ لذا تارة يلجأ إلى التصريح المباشر، وتارة يلجأ إلى التشبيه لتقريب الفكرة للأذهان؛ لأن هدفه وغايته مخاطبة العقل والوجدان معا؛ لذا نوّع في أساليب الخطاب، فهو يريد القول إن طريق النجاة في الدنيا واضح لكسْب الآخرة، فيجب اتباعه قبل فوات الأوان، وهذا يكشف عن مدى حرص علي – رضي الله عنه– على الفوز في الآخرة، والعمل من أجلها؛ فهي الحياة الدائمة وليست الدنيا فمتاعها زائل، ومهما طالت فهي فانية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ولم يغفل عن التذكير بالحقيقة الكبرى في الحياة الدنيا، وهي الموت الذي وُصف بأنه هادم للذات وقاهر العباد، فقوله:" وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ، آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُم" يحثّ على العمل لما بعد الممات، فإذا كان كل حي لا محالة ميت بدليل قوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(سورة آل عمران: آية١٨٥) وقوله تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(سورة الرحمن: آية٢٦-٢٧) فعليه الاستعداد لهذا اللقاء قبل فوات الأوان.

وحذّر من الغفلة عن الموت في قوله:" قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ" مستعينا بالتوكيد المبني على قد والفعل الماضي (قد غاب) ليقرر واقعا حادثا، وإلا فما الذي يجعل الإنسان يقبل على الدنيا وينسى الآخرة لولا تناسيه الموت والمآل الذي سيصير إليه حتما في يوم من الأيام.

واختار لفظة القلوب لأنها مناط الإدراك، فإذا كان القلب عامرا بالإيمان تذكّر الموت وعَلِم أنّ الدنيا فانية، وعمل لما بعدها في الحياة الدائمة، وإذا كان القلب لاهيا غافلا مشغولا بالدنيا وشهواتها وملذاتها يغفل عن الموت وعن الآخرة فيتكالب على الدنيا.

وشخّص الآمال بكائن حي يكذب ويخدع أهله ويضللهم، وهكذا شأن الدنيا، وهذا ينسجم مع وصفه لها في مفتتح خطيته بـــ:" قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا"، والعلاقة بين الأجل والأمل علاقة تضاد؛ لأن الأجل يعني الفناء والانتهاء، أمّا الأمل فيعني طول الحياة والبقاء؛ لذا يشغل ويغري ويؤدي إلى التكالب على الدنيا، والغفلة عن الأجل المتربص بكل حي.

والنتيجة الحتمية لما سبق من توصيف أن أصبحت الدنيا الشغل الشاغل، كما اتضح من قوله:" فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، والْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ". ويكشف تصويره هذا عن عدم رضاه عمّا يفعله بعض الناس في زمانه، وحرصهم على الدنيا، والعمل من أجلها وكأنها أصبحت الشغل الشاغل لهم، وغفلتهم عن الآخرة وزهدهم فيها، أمّا الآخرة فلم تعد من أولياتهم وتوارت إلى الظل، وغابت عن الفعل المؤثر في الحياة الدنيا، بدليل صيغ التفضيل (أملك وأذهب) فهم بذلوا الوسع والطاقة للدنيا، ولم يفعلوا الفعل نفسه من أجل الآخرة.

وتكمن المفارقة في أنهم فعلوا عكس مراد الله – سبحانه وتعالى- وتصرفوا وفق مرادهم هم أو مراد الشيطان، وشتان بين الحالين: حال العمل من أجل الفوز والنجاة وحال التقصير المؤدي إلى الفشل والخسارة.

واتكأ على المقابلة في قوله:" إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا" لتصوير حال الزاهدين في الدنيا ومواصفاتهم فهم فئة تضحك قليلا وتبكي كثيرا، وجعل القلوب هي التي تبكي، وهذا أبلغ في التأثير والوعظ، ودليل على تمكُن الإيمان في القلوب؛ لذا أدركوا ووعوا أن الدنيا زائلة، ويستحضرون قوله-صلى الله عليه وسلم-:" لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا". وتتذكر هذه الفئة الآخرة دوما وتتذكر الموت والمآل؛ لذا حزنهم أكثر من فرحهم، وهم لا يغترون بما رُزقوا في الدنيا؛ لأنهم ينظرون إلى الحقيقة لا إلى المظاهر والقشور، بينما غيرهم يغبطهم على ما رزقهم الله.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وافتتح كلامه بالجملة الاسمية (إن الزاهدين) وقيل "أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان:[١٣: ٤٣١]. ثم تتالت الجمل الفعلية (تبكي وضحكوا ويشتد ويكثر) للدلالة على الأحداث المتجددة والمستمرة فهم في حالة بكاء واشتداد الغم والحزن، وفي هذا كناية عن انشغالهم بالآخرة وإدراكهم لحقيقة الدنيا.

ويكشف قوله:" وإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّه، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وسُوءُ الضَّمَائِرِ" عن عدم رضاه عن حال الناس في زمانه الذين تفرقوا وتشتتوا واختلفوا، وهذا خلاف لمراد الله- سبحانه وتعالى- الذي أراد لهم أن يكونوا إخوانا تجمعهم إخوة الدين بدليل قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات: آية١٠) وجاء أسلوب القصر في الآية وفي قول عليّ لتقرير هذه الحقيقة وترسيخها في الأذهان، والتذكير بما غفل عنه الناس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكّد أسلوب القصر حقيقة ثانية وقررها، وهي أن الذي فرّق الناس هو خبث السرائر وسوء الضمائر، وباجتماعها معا يتفرق المجتمع المسلم، وهو بفعله هذا يشّخص مشكلة اجتماعية باتت منتشرة في عهده، بدليل اعتماده أسلوب القصر في كلامه.

وهو يذكرّهم بما غفلوا عنه وغاب عن ذهنهم حقيقة الإخوة في الدين، وأنها من أسمى الروابط في المجتمع المسلم بدليل تتالي المؤكدات في قوله السابق (القصر واسمية الجملة) وهذا هو الأصل في المجتمع الإسلامي، وهذا هو مراد الله – سبحانه وتعالى- أمّا تناسي هذه الرابطة فخروج عن الأصل، ومخالفة لمراد الله – سبحانه وتعالى- وهو يعلي من شأن هذه الرابطة؛ لأنه يرى فيها الركيزة الأساسية لهذا المجتمع، وبها الفلاح والفوز.

ومن مظاهر تشتت الناس وفرقتهم أنهم كما وصف:" فَلَا تَوَازَرُونَ ولَا تَنَاصَحُونَ، ولَا تَبَاذَلُونَ ولَا تَوَادُّونَ" مخالفين بذلك مراد الله-سبحانه وتعالى- وتعاليم هذا الدين، والآيات التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(سورة آل عمران،١١٠)، ويخالفون كذلك ما حثّ صلى الله عليه وسلم من أهمية أن تسود الرحمة والتواد في المجتمع الإسلامي كما اتضح من قوله:"ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [٨: ٨/ ١٠]

ومن المآخذ التي أخذها على الناس في زمانه أنهم لم يتناصحوا بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مما حذّر منه- سبحانه وتعالى- بل جعله يلعن من يغفل عن هذا الأمر كما صرّح قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة المائدة: آية٧٨-٧٩)، وبلغ الأمر في زمانه لم يعد أحد يواجه غيره بخطئه أو تقصيره خشية أن يفعل به مثله، وهذا يكشف عن سوء خلقهم.

وأفعالهم السابقة تكشف عن سوء خلقهم، وتكالبهم على الدنيا، وغفلتهم عن الموت والآخرة، ومخالفتهم لتعاليم هذا الدين التي تحث على الأمر والمعروف والنهي عن المنكر، وعلى التماسك المجتمعي القائم على المودة، وفي هذا التوصيف دليل على عدم رضاه عما يفعلون، ويبين لهم – ضمنا- المخاطر المترتبة على سلوكهم هذا سواء في الدنيا وفي الآخرة، ويحذرهم من عاقبة أفعالهم هذه.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وعبّر بصيغة التعجب بغرض الذم والتوبيخ بل التحقير في قوله:" مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَه، ولَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَه!" وأبرز التضاد المبني على المفارقة في قوله قصر نظرهم، وغفلتهم التي تجعلهم يفرحون بالمكسب القليل من الدنيا الذي وصفه باليسير، وبالمقابل لا يحزنون للكثير الذي سيخسرونه في الآخرة، وهنا مكمن المفارقة فالمتوقع أن يحزنوا لما يخسرون في الآخرة وألّا يفرحوا بالمكسب القليل الفاني، وبما أن الزمن زمن انقلاب الموازين وزمن الغفلة يجعل الناس يتصرفون كما وصف، وهنا يأتي أثر الخطباء والوعاظ الذين يذكّرون الناس بما غفلوا عنه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الذاريات: آية ٥٥) وهذا ما يحاول علي –رضي الله عنه– القيام به، وأداء هذه المهمة.

ورسم صورتين متقابلتين ولا ينبغي وجودهما في المجتمع المسلم الذي يتميز بحرصه على مرضاة الله –سبحانه وتعالى– وسعيه بالعمل الجاد للظفر في الآخرة. وهاتان الصورتان تخالفان مراده –سبحانه وتعالى– لأنه صورّهم يحرصون على القليل والفاني ويتكالبون عليه، ولا نجد الحرص نفسه على الدائم ونعيم الآخرة.

وأكّد المعنى نفسه في قوله:" ويُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ" لإبراز مدى حرص الناس على الدنيا وتكالبهم عليها، وكشف قوله السابق عن عدم رضاه عما يفعله الناس في هذا المجال، بل حقّر ما يفعلونه وذلك بتصويره حزنهم وقلقهم على القليل يخسرونه في الدنيا، ولا مجال للمقارنة بين مقدار جزعهم على المفقود (القليل/ التافه) الذي لا يستوجب كل هذا الحزن، وكأنه يريد منهم مراجعة أنفسهم قبل فوات الأوان، وتتجلى مظاهر حزنهم وألمهم على اليسير المفقود من متاع الدنيا في وجوههم، واختار الوجوه؛ لأنها مرآة الإنسان وتكشف عما في داخله.

وأَخَذ على الناس عدم صبرهم وعدم تحملهم لخسارة شيء من متاع الدنيا، وعدم حصولهم على ما يرجونه من متاعها، وكان يجدر بهم عدم التكالب على الدنيا، لا الحزن على ما يفقدونه من متاعها.

وهذه المظاهر لا ينبغي وجودها في المجتمع المسلم، وتتضاد مع مراد الله –سبحانه وتعالى– وبفعله هذا يشخّص بعض المشاكل التي يعاني منها المجتمع المسلم، فهو يشخّص بحثا عن الحل، ومن باب النصيحة.

ولخّص قوله:" كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ وكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ" موقفه من الدنيا ومتاعها، فهو يقرر حقيقة فناء الدنيا وزوال نعيمها، فالعاقل لا يحرص على الفاني وإنما يحرص على الباقي والدائم.

وتضمن قوله السابق صورتين متقابلتين: صورة مذكورة في النص صورة الدنيا وما فيها من متاع زائل، والصورة المحذوفة صورة الآخرة وما فيها من نعيم دائم، وهو يذكّرهم بعدم الغلفة عن النعيم الدائم، وألا يغتروا وينخدعوا بالمتاع الزائل. فكأن قرب الدنيا منهم ورؤيتهم لها أمام ناظريهم يغشي بصرهم فيغفلون عن الآخرة، فهو يتخذ من الحاضر(الزائل) وسيلة للتذكير بالغائب (الدائم). والخلاصة على أيهم يحرص العاقل!

وختم خطبته بما بدأ به من التحذير من الدنيا والتزهيد بها؛ لأنها ليست دار الإقامة الدائمة، وإنما هي ممر للآخرة، دار الإقامة الدائمة، وحرص على تصوير الدنيا بأقبح صورة؛ ليجلّي لهم حقيقتها، التي وُصفت في القرآن الكريم بأنها: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (سورة الحديد: آية٢٠).

وخلف هذه الصورة المذكورة تأتي الصورة التي حرص على التذكير بها بطريق غير مباشر، فهو يقلل من شأن المذكور الحاضر، ويعلي ضمنا من شأن الغائب المراد مستوحيا ما ورد في القرآن الكريم في هذا الشأن

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ما ورد في قوله تعالى:﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ (سورة فاطر:آية٥) وقوله:﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ (سورة الأنعام:آية٣٢) ولو حرصوا على الآخرة بمقدار حرصهم على الدنيا لنجوا في الدنيا والآخرة، لكن المشكلة في الحرص على الدنيا، وخسارة الدنيا والآخرة معا؛ لأن الدنيا ليست دار إقامة فهمها تمتع بها لا محالة زائل.

وكنّى في قوله:" وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ" عن استيائه لما آلت إليه أحوال الدين في زمانه، وذلك بتشبيهه الدين بالشيء اليسير القليل من الطعام الذي يعلق بالملعقة، مما يعني أن الدين أصبح في آخر اهتمامات الناس، وهنا مكمن الخطورة، ومكمن المشكلة.

4. النتائج:

نوّع علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– في الأساليب البلاغية التي اتكأ عليها في خطبته في سبيل التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظره في عدم التكالب على الدنيا، وهذا يكشف عن مدى حرصه على نجاة المتلقي في الآخرة.

رسم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– صورة منفرة للدنيا مبنية على المقابلة في سبيل التزهيد بها، وكشْف حقيقتها أمام المتلقي حتى لا يركن إليها، ولا ينخدع بملذاتها، ونعيمها الزائل.

رواح علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– الجمل الإنشائية والجمل الخبرية، وهذا يتناسب مع الهدف من الخطبة، فهو نصح ووعظ وحذّر ونهى وأمر، من جهة، ومن جهة أخرى، فهو يقرر حقائق تكشف عن حقيقة الدنيا وخداعها وزوالها.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

٥. المصادر والمراجع:

[١] ينظر ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت– لبنان.

[٢] ينظر شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف، مصر.

[٣]ابن الجوزي، *صيد الخاطر* القاهرة: دار ابن كثير، ١٩٩٢م.

[٤] أحمد شلبي، أساليب الزهد في الخطابة الإسلامية، دار الفكر، القاهرة ١٩٥٨.

[٥]الشريف الرضي نهج البلاغة: خطب الإمام علي بن أبي طالب وأوامره وكتبه وحكمه، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧م.

[٦] شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت).

[٧] الدراسات المعاصرة في السيميائية القرآنية، حيدر عدنان حمّادي مجلة علوم اللغة العربية، العدد ١٢.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٨] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. كتاب الأدب، باب رحمة الناس.

[٩] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٩٩٨،١٤١٨،الجزء الأول.

[١٠] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

[١١] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العصرية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩.

[١٢] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف، مصر.

[١٣] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، (١٩٨٦)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq